بحث في حقوق المرأة

لجناب الكاتب المجيد يوسف افندي شلحت

كثر كلام الكتّاب في حقوق النساء وفي ما اذا كنّ قادرات على القيام باعمال الرجال فحدثتني النفس ان اخوض في هذا الموضوع وجئتُ الملتقط الاغر بما اقترحتهُ عليّ قريحتي فيهِ

فاقول اولاً انني كثيرًا ما رأيت مجلاتنا العلميّة تشغل صحفًا وافرة من اعدادها بمقالات مثل هذه لا نافة لنا فيها ولا جمل. وهي تعدُّ عندنا من المباحث التي يدعوها الفرنجة "spéculation" اي النظر الى الامور من حيثيتها العلميّة النظريّة مع غض الطرف عن تأثيرها العملي

وقد كان الاولى بنا ان نعمل فكرتنا بما هو اقرب الينا نفعًا وادنى فائدة مفضلين في البحث عن الحقائق الادبيّة المسائل التي تعنينا من حيث سدّ احتياجاتنا الاوليّة الباعثة عليها نهضتنا الحديثة في حياة التمدن الغربي. وعليهِ فاي فائدة نجتنيها نحن معاشر الشرقيين من البحث عما اذا كان النساء فيهنّ الكفاءة للقيام بما يقوم بهِ الرجال وعما اذا كان لهنّ كل حقوق الرجال ونحن في حالة من التقهقر في هذا المعنى يحملنا على استصغار شأن النساء واهمال امرهنّ الى درجة ادّت بنا الى بحثنا في حقوقهنّ المقرّرة الطبيعيّة والادبيّة

فاذا كان بحث مثل هذا لهُ وجهٌ في بلاد انكلترا والولايات المتحدة في اميركا وغيرها من بلاد الفرنجة حيث النساء بلغنَ مقامًا في التهذيب والحضارة حرّك في عواطفنّ حاسات الخيلاء والاشرئباب حتى اخذنَ يطالبنَ بما لا طاقة لهنّ بحملهِ فاي وجهٍ لهُ عندنا نحن الشرقيين ونساؤنا لم يتجاوزنَ سن الطفولية في حياة العمران والتمدن

ومثلنا في هذا البحث مثل من ولد لهُ مولود فاخذ يفكر بما سوف يتعلمهُ هذا المولود من العلوم ويبادر اليهِ من الاعمال متى ترعرع وهو لا يبالي بما لهذا المولود من الاحتياجات في الساعة التي هو فيها من ارضاعهِ البانًا صحيحة واخذ الاحتياطات الصحيّة لدفع الامراض الكثيرة المعرّضة لها بنيتهُ النحيفة

ثم اننا اذا ضربنا الصفح عما لهذا البحث من عدم التأثير العملي العاجل في بلادنا لما نحن عليهِ من التأخر في سلم المعارف والتمدن وحاولنا استقصاء حقائقهِ العلميّة النظريّة نرى المتمسكين بهذا الرأي قد تهوروا باحكامهم بما ينسبونهُ الى المرأة من الكفاءة

وما يطلبون لها من الحقوق . وذلك عن عدم تحريهم البحث تحرياً فلسفياً دقيقاً

ولقد رأينا كاتباً من كتبة الفرنجة الذين اشتهروا بغزارة العلم وسعة الاطلاع يشط بهِ القلم الى درجة تدعوهُ الى الانتصار لمثل هذه الآراء المفرطة . وذلك مع ما حازتهُ نساؤهم من السبق في ميدان العلوم والصنائع والآداب . ولربما لم يمعن هؤلاء النظر في نتائج مذهبهم وما يلحقهُ بالهيئة الاجتماعيَّة من قلب الاحوال وتزعزع الاركان التي أُسست هي عليها

بل لعلهم لم يفكروا ان هذا المذهب مناقض لما وضعتهُ الطبيعة من الحدود الفاصلة بين حقوق الرجل وحقوق المرأة . وقد بنى أَئمة الاديان وارباب السياسة على اختلاف اجناسهم ومشاربهم آيات الاعتقاد وقوانين الشرع على هذه الحدود الفاصلة منذ الايام الاولى للتاريخ البشري . ولايضاح ذلك يجب علينا ذكر بعض المبادىء الفلسفيَّة التي سلَّم بها الناس بداهة في كل زمان ومكان وهي

اولاً ان الحقوق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالواجبات بحيث لا يوجد حق بدون واجب . ولا يفرض واجب بدون حق . وكلما تعدَّدت حقوق الافراد زادت واجباتهم . وهذه حقيقة اوليَّة تتوقف عليها ميزانيَّة الهيئة الاجتماعيَّة . وهي اساس الاتفاق الغريب الذي نشاهدهُ في العلائق البشريَّة بين الزوج وزوجتهِ والوالد وولدهِ والحاكم ومحكومهِ

ثانياً لا يسلَّم بحق لاحد الافراد ما لم يكن لهُ مقدرة على القيام بالواجبات التي يفرضها عليهِ ذلك الحق . وهذه ايضاً حقيقة بديهيَّة عليها مدار الشرائع الطبيعيَّة والاديبيَّة

ثالثاً كل غاية تنحوها الطبيعة في مظاهرها والانسان في اعمالهِ تفرض وجود وسائط كافية للوصول الى هذه الغاية

رابعاً تقوم الهيئة الاجتماعيَّة بثلاث الفات هي الالفة الزوجيَّة والالفة العائليَّة والالفة المدنيَّة . واساس هذه الالفات الثلاث الالفة الزوجيَّة التي هي بمقام المادَّة الاولى للهيئة الاجتماعيَّة . ولكل الفة من هذا الالفات غاية مقررة يسعى الافراد اليها بطلب حقوقهم والقيام بواجباتهم

خامساً لا تتمكن اية الفة من هذه الالفات الثلاث من البلوغ الى الغاية المقصودة ما لم يكن بين الافراد الذين يؤلفونها القائد والمقود والآمر والمأمور والرئيس والمرؤوس . وبهذه الحقيقة يقوم كيف السلطة التي هي الضابط الاول للهيئة الاجتماعيَّة والروح الباثة الحياة والحركة في اعضائها

فاذا تقدم ذلك اقول اننا اذا اعتبرنا النساء في اية الفة من هذه الالفات الثلاث نرى ان حقوقهنّ هي غير حقوق الرجال كما ان واجباتهنّ هي خلاف واجبات الرجال

ولئلا يطول الشرح بنا نكتفي هنا بالنظر الى المرأة في حالة وجودها في الالفة الزوجيّة لانهُ متى اتضح لنا ان الزوجة ليس فيها الكفاءة للقيام بما يقوم بهِ زوجها من الاعمال وانهُ لا يحق لها الادعاء بكل حقوقهِ ثبت بداهة ان النساء ليس لهنّ في الالفتين العائليّة والمدنيّة كل حقوق الرجال لانهُ لا يطلب منهنّ كلما فرضتهُ هاتان الالفتان من الواجبات على الرجال

فاذا دققنا النظر في الالفة الزوجيّة وتبصرنا في وظائف الرجل والمرأة وقواهما الطبيعيّة والاديبيّة والغاية الساعية هذه الالفة اليها رأينا لاول وهلة ان الطبيعة وضعت بوناً عظيماً بين حقوق الزوج وحقوق الزوجة وواجباتها المتبادلة. وعينت لكل منهما عملاً مخصوصاً يقوم بهِ توصلاً الى الغرض المقصود من ائتلافهما واشتراكهما في المعيشة. وقد حقق هذا البون علماء الانثروبولوجيا والفيسيولوجيا والاثنولوجيا والفرينولوجيا[1] واعتمد عليهِ الانبياء والمشترعون في وضع كتب الاديان وسن القوانين المدنيّة

فالغاية المقصودة من الزواج هي ايلاد البنين وحفظ النوع انقياداً الى الميل الطبيعي المغروس في الفطرة البشريّة وهو بمقام مهماز يدفع بني البشر الى تكثير النسل دون المبالاة بما وراء ذلك من اثقال التربية ومشقات التهذيب

وقد سبق القول انهُ لا يمكن وجود الفة بشريّة بدون رئيس يسومها. لانهُ لا يمكن وجود الفة بدون غاية تقصدها هذه الالفة. ومن المحال ان يتفق اعضاء الالفة رأياً وعملاً للسعي وراء هذه الغاية (مع ما هم عليهِ من تباين الاخلاق واختلاف الاميال وحريّة العمل) ما لم ينفرد احد منهم بالامر ويوجه قوى الاعضاء المتفرقة الى وجهة واحدة لادراك الغرض العمومي المقصود من الالفة

وفي البحث عمن من الزوجين لهُ حق الامر والرئاسة في الالفة الزوجيّة يجب علينا استقراء الوظائف والصفات التي خصت بها الطبيعة كلاًّ منهما. وبمقابلة هذه الوظائف والصفات يتضح لنا مَنْ منهما دُعي للامر وللنهي ومن منهما عُيّن للخضوع والطاعة. فمرجع الحكم في هذا البحث هو الطبيعة وهي التي خصّت الرجل بقوة الاعضاء وذكاء العقل

(١) الاول علم تاريخ الانسان الطبيعي. والثاني علم يبحث عن وظائف المخلوقات الحية. والثالث علم احوال الامم بالنظر الى حياة مدنيتها وهيئة حضارتها. والرابع علم حديث العهد يبحث عن قوى الندس بحسب تكوين الدماغ

وشجاعة القلب وحزم الرأي والاقدام على العمل وثبات العزيمة وحسن التدبير وقد جبلت المرأة على ضعف البنية وبطء الحركة وسرعة التقلب وهلع الفؤاد وكثرة الترددوسلامة الطويّة ورقة العواطف

وكأني بالطبيعة تقول بلسان حالها للزوج أنِ اعمل الفكرة بامر المعاش واهتم باحتياجاتك واحتياجات زوجتك بما أُعطيتهُ من الوسائل الطبيعيّة والادبيّة وكن القائد لها في سبيل الفلاح والسعادة ودافع عنها في ميدان النزال المستمر بين الافراد لحفظ الحياة والمال. وكأني بها تقول للزوجة أنِ اتبعي خطوات زوجك في مسالك هذه الحياة الدنيا واعتصمي بحبالهِ فهو وليُّ امرك وكوني شريكة لهُ في السرّاء وخففي عنهُ هموم العسر وملمات الدهر في الضرّاء بما زينتِ بهِ من اناءة البال ولطف الجانب ورقة المعشر

فهذه هي الخطة التي خطتها الطبيعة لبني البشر في حالتهم الزوجيّة وكل من يحاول قلب هذه الحالة بزخارف المقال والافتراضات المحالة يعدُّ من المعتدين على الطبيعة ونواميسها المقدسة

ورُبَّ معترض يقول ان بعض الزوجات يفقنَ رجالهنَّ في قوة الادراك ونشاط الجسم وحسن التصرف واجادة العمل وان كثيرًا من النساء برعنَ في العلوم الفلسفيّة والاديّة فنهنَّ الطبيبة والخطيبة والمحررة والمحامية والمخترعة وهلمَّ جرًّا

فاقول ان امثال النساء اللواتي سابقنَ الرجال في القوى الطبيعيّة والاديّة نادرة والنادر لا يبنى عليهِ حكم[1]

ومع ذلك فاذا فرضنا خلاف الواقع وقلنا ان الطبيعة ساوت بين الرجل والمرأة في قسمة مواهبها وتوزيع عطاياها فذلك ممَّا لا يخرج المرأة من دائرة الخضوع والانقياد لما كُلفت هي بهِ من مشقة الحبل وعناء الرضاعة مدة من الايام تشغل نحو ثلث عمرها وهي تشعر اثناء هذين الدورين بانحطاط في الجسم وضعف في العقل يقيمانها في شغل شاغل

(١) من الحقائق التي اثبتها علماء الفزيولوجيا في هذا القرن ان تكوين دماغ النساء اللواتي جارينَ او فقنَ الرجال في قوة من قوى النفس يشبه تكوين دماغ الرجل في جزء الدماغ الذي هو مركز تلك القوة. وذلك مما يدل على ان الطبيعة لم تحد بغلتها هذه عن خطتها الاعتيادية الاَّ بقدر معين. وقد جعلت مثل هؤلاء النساء عبرة نعتبرها من حيث التمييز بين القوى التي خصَّ بها عموم النساء فطرة والقوى التي اعطيت للبعض منهنَّ من باب التشابه والتحامل لا من باب المساواة

وكما ان الرجل الذي يشبه المرأة خلقًا ينسب الى التخنث اذا ادعى بحقوق النساء من هذا القبيل فكذلك المرأة التي تحاكي الرجل خلقًا تحسب مترجلة اذا حاولت مساواة الرجل بهذا المعنى

عن مهام الرئاسة ومسئوليَّة الادارة . فاذا تكون يا ترى حالة الالفة الزوجيَّة مدة تنقل المرأة من دور الحبل الى دور الولادة فالرضاعة اذا كانت هي المكلفة بالولاية والتدبير

فثبت ممَّا تقدم ان الامرأة لا يمكنها القيام بما يقوم به الرجل من الاعمال وان مطالبتها بكل حقوق الرجل ممَّا يعدُّ شططًا وغلوًّا بل تمردًا وعصيانًا بالمعنى نفسه الذي به يعدُّ متمردًا عاصيًا كل مرؤوس يدَّعي بحقوق رئيسه

على اننا اذا قابلنا بين تصرُّف الغربيين وتصرُّف الشرقيين من حيث معاملتهم النساء نرى ان لافراط اولئك وتفريط هؤلاء بهذا الخصوص علة واحدة هي ضعف المرأة. اي ان تجاوز الغربيين الحد من جانب الزيادة بمبالغتهم في اكرام النساء وتعزيز شأنهنَّ وتجاوز الشرقيين الحد من جانب النقصان باهمالهم امر النساء وحط مقامهنَّ لهما سبب واحد هو ضعف فطرة المرأة الطبيعي والادبي. وقد اثار هذا الضعف تأثيرات متناقضة في الغربيين والشرقيين. فحرك في اولئك شهامة النفس ولين العواطف ومكارم الاخلاق وجعلهم يبذلون الجد في تقويم ميزانيَّة الالفة وسد هذا النقص بما احاطوا به النساء من دلائل الاكرام وبواعث العناية والاهتمام وأغرى هولاء بالاستبداد والطمع فوسعوا الخرق باجهازهم على المكلوم وانكارهم حق الضعيف

ولما كان الافراط والتفريط مخلين بالهيئة باعثين على قلب النواميس الطبيعيَّة والوضعيَّة نرى طريقة معاملة الغربيين نساءهم قد ادَّت بهنَّ الى خروجهنَّ من دائرة بيوتهنَّ التي خطتها لهنَّ الطبيعة بحكمة صمدانيَّة وقد لعبت بعواطفهنَّ نشوة الخيلاء وهزة الكبر الى ان اخذنَ يطالبنَ بما ينضي عواتقهنَّ جهدًا وعناء ويبعدهنَّ عن واجباتهنَّ المفروضة عليهنَّ من نحو القيام بتدبير المنزل والاعتناء بامر تربية البنين وتهذيبهم في الادوار الاولى للحياة . ونرى بعكس ذلك طريقة معاملة الشرقيين نساءهم قد حطت بهنَّ الى حضيض الاهمال والهوان فأقمنَ عندهم مقام متاع وأُفردنَ في البيوت مخدرات ينظرنَ من وراء الحجاب الى الحوادث العالميَّة والماجريات البشريَّة كأنهنَّ غريبات عن المجتمع الانساني لا نصيب لهنَّ فيه ولا شأن

غير اننا نرى في كلا حالي الافراط والتفريط اجماع الناس على الاعتقاد بضعف المرأة وافتقارها الى عضد الرجل والاعتماد عليه في قضاء عوز المعيشة وسد الاحتياجات اليوميَّة وهذا هو المقصود من ذكرما تقدم وبه دلالة دامغة على ان عموم الناس لا يقرُّون للنساء بكل حقوق الرجال لمعرفتهم ان ضعف فطرتهنَّ لا يسمح لهنَّ بالقيام بكل ما

تفرضهُ عليهنَّ هذه الحقوق من الواجبات

واختم هذا البحث طالبًا الى سيداتي الكريمات الاَّ ينقمنَ عليَّ لانني لم انتصر لهنَّ فيما يطلبهُ لهنَّ بعض المشطين من الحقوق التي هي لهنَّ بمقام ضغث على ابالة فقد كفاهنَّ ما عهدتهُ اليهنَّ الطبيعة من مشقات الحبل واوجاع المخاض وصعوبات الولادة وعناء الرضاعة على انني وان لم اكن من الذين ينظرون بعين الاستحسان الى افراط بعض نساء المغرب اللواتي قمنَ يطالبنَ بما وزرهُ ثقيل على عواتقهنَّ الضعيفة فلست من الذين يرغبون في ابقاء نساء المشرق في حالتهنَّ التعيسة التي هنَّ عليها في وقتنا هذا وجلَّ بغيتي ان يسعى ولاة امرنا وفضلاء قومنا في نشلهنَّ من وهدة الذل والهوان التي القاهنَّ فيها الجهل والاهمال فانهنَّ حياة هذا الكون ومهجتهُ وزينة المجتمع الانساني وبهجتهُ

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطوَّلة

اسماء ملوك اسبانيا

انتقاد

حضرة منشئي مجلة المقتطف الغراء

طالعت الجزء الاول من اجزاء هذه السنة في هذه الاثناء فرأيت فيهِ نبذة بديعة لحضرة الكاتب المتفنن احمد افندي زكي يقول فيها ان من تمعَّن في التواريخ الاندلسيَّة يرى ان العرب يقصدون بكل اسم من هذه الاسماء (ادفنش وادفونش واذفنش واذفونش والفونش) ملكًا معينًا . ثم قال ان الادفونش هو الدون الفونسو الثامن وادفونش بن بيطر هو الدون الفونسو الاول الكاثوليكي والاذفونش هو الفونسو السادس الخ فاعجبني هذا التحقيق واثنيت على الكاتب لاجتهادهِ وسعة اطلاعهِ . واتفق انني فتحت تاريخ ابن